أضواء على الشعر الحديث في اليمن

الحضراني : شاعر قحطان

بقلم هدال ناجي

وشاعر قحطان هو الاسم الذي اشتهر به الشاعر اليمني المعاصر ابراهيم بن احمد الحضراني.

والحضراني شاعر وابن شاعر فهو من بيت أدب ، وقد كشف عن بعض آرائه الادبية العميقة في الكلمة التي قدم بها ديوان احمد الشامي « النفس الاول » .

والحضراني لم يطبع ديوانه حتى هذه الساعة ، فما بين يدي مجرد قصائد متفرقة من شعره ان لم تكف لدراسة شعره دراسة واعية معمقة، فانها تكفي لتقديمه الى القراء وتعريفهم به ، وعرض بعض ملامح شعره العامة .

وفي شعر الحضراني رافدان او قل مجريان : مجرى يضم في اطوائه شعر الوجدان الذاتي ، وهو شعر عاطفي اصيل صادر عن قلب يؤج صبابة ومهجة تتحرق وجدا وتفيض أسى.

ومجرى يضم في أحنائه شعر الوجدان الجماعي ، أو سمة شعر الكفاح ان شئت ، وشعره في هذا الباب يضعه في الطبقة الاولى منحملة الوية الشعر الكفاحي في اليمن ، وان ضببته في بعض الفترات الحالكة هالات من اليأس المدمر .

شعره العاطفي

والظاهرة الاولى في هذا الشعر العاطفي هي ظاهرة المأساة او الاسى التي تفيض بها قصائده . فلسبب نجهله فشل الحضراني في حبه ولسبب لا نعرف كنهه جنى من غرامه شوكا .

لذلك نرى هذه النظرة المأساوية تطبع شعره العاطفي بطابعها الحزين فالشاعر :

مستهام يعبث الشوق به ... عبث الموج بأنثات الغريق
قلبه الدامي وقد حمّله.. ... من تباريح الهوى ما لا يطيق
ليس ينفك حزينا موجعا ... يصحب الايام بالجرح العميق
وحدته في الورى اشجانه ... فهو في واد من الشجو سحيق
حيث لا موجدة من ناقم ... تبلغ الشكوى.. ولا نجوى صديق
حار في حمل الهوى . لا كفه! ... عافت الكأس ولا جف الرحيق

هذا الشاعر المدنف الذي لا كفه عافت الكأس ولا جف الرحيق ـ يحاول ان يفلسف مأساته ، فهو يرى ان الهوى في قلبه قدر أودعه الله كما أودع البراكين في الارض . فمخطىء من حاول عذله فان مأساة المحبين ليس لها اخر . أنهم ان لم يموتوا من صبابة ماتوا من الهم :

ان الذي كوّن في أضلعي ... قلبا بحب الحسن مجنونا
أودع في قلبي الهوى مثلما ... أودع في الارض البراكينا
طغى .. فلا يلوي على منطق ... وثار ، لا يعرف قانونا
كم غلط الناس وكم حاولوا ... بالنصح ارشاد المحبينا
مأساتهم ليس لها آخر ... وداؤهم أعمق تمكينا
لو لم يموتوا في سبيل الهوى ... ماتوا بحمل الهم مدفونا

والحضراني في موضع اخر يستغرب ويعجب كيف يشتاق الناس لعودة ايام الصبا ؟!

فليس في صباه هو سوى أنّة حرى وقلب ذائب وجفن دامع فلا عجب بعد ذلك اذا لم يتمن عودة تلك الايام :

يا من اذبت فؤادي في هواك وما ... منيت الا بابعاد وحرمان
حتى ذوى زهر آمالي وأعقبلي ... بين الجوانح آلامي وأحزاني
أهذه هي أيام الصبا والى ... رجوعها يتمنى العاجز العاني
ماذا سوى أنّة حرى يكاد بها ... قلبي يذوب وجفني دمعه قاني
هذا هو الحب لا ينفك يخلقلي ... عوالما ذات اشكال ، والوان
دنيا وعالم اشجان أعيش به ... وحدي، وللناس حولي عالم ثاني

* * *

والحضراني في قصيدة اخرى يصارح محبوبته ان كل فتنتها من خلقه هو فكيف يتمرد المخلوق على الخالق ؟!

والشاعر في هذه القصيدة بالذات يلتقي مع غير شاعر واحد من شعراء العربية الذين جفتهم محبوباتهم فعادوا يذكّرونهن بما للشعر من يد عليهن .. فكم من حسناء لم يكلف بها شاعر ضاعت في زوايا النسيان كما تضيع ذرة في تراب او موجة في عباب ، وكم من مجهولة ولع بها شاعر فجعل اسمها على كل لسان فما برحت الاجيال تردده على تطاول الحقب .

ان الحضراني وان التقى مع غيره في فكرة القصيدة الا انه جوّد في صياغتها وأبدع ايما ابداع ، استمع اليه يقول :

الله قد صاغك من طينة ... كسائر الناس ولا أكثر
فحدثيني .. يا منى خاطري ... من خلق الحسن الذي يبهر
من جعل الالحاظ فتاكة ... والثغر من صيّره يسكر
من خلق الفتنة غيري أنا ... أنا .. أنا خالقك الاكبر
لولاي ، ما أفترت زهور الربى ... ولا شدا ناي ولا مزهر
ولا علت عينيك اشراقة ... يسبح الله لها عبقر
ما جسمك الرجراج لولا انا ... ما سحره .. ما طرفك الاحور
ان تسأليني كيف : صورتني ... وانت لا تقوى ولا تقدر !
انت لعمري اعرف الناس بي ... ما احد مثلك لي أخبر
ورعشة الوجنه عند اللقا ... تشهد لي ، والطرف اذ يسكر
خلقت هذا الحسن من خافق ... يضنى وطرف في الدجى يسهر
خلقته من همسات المنى ... من كل ما أهوى وما أكبر
من ومضات النور عند الدجى ... والليل من حولي اذ يعكر
أواه من قلب يقاسي الضنى ... في كل يوم جرحه ينفر
أشكوك لا أدري ألست الذي ... بكفه قد صنع الخنجر

شعره الكفاحي

الحضراني من انصار ثورة عام ١٩٤٨ التي قتلت الامام يحيي وبعض أولاده ومن اجل ذلك اعتقله الطاغية احمد بن يحيى حميد الدين ونقله الى سجن « حجه » الرهيب .

وفي أعماق السجن كان الحضراني ينتظر صوت المنادي ليذهب به

الى ساحة الاعدام ، وفي كل يوم كانت تقاد قافلة من الاحرار لتلقى حتفها على يد « السيّاف » .

في تلك الساعات الرهيبة ارتجل الحضراني بيتين من الشعر وكان الى جانبه البطل اليمني ـ محيي الدين العنسي ـ وفي فجر أغبر نودي على « العنسي » فسار الى الموت منشدا ما ارتجله الحضراني :

كم تعذبت في سبيل بلادي ... وتعرضت للمنون مرارا
وانا اليوم في سبيل بلادي ... أبذل الروح راضيا مختارا

والحضراني في سجنه لم يكن ليخشى الموت فالشهداء لايموتون وان قبروا ، وانما كان يخاف على دعوة الحق اذا ما مات ومن اجل ذلك قال وهو ينتظر حكم الاعدام :

حنانيك يا سيف المنية فارجعي ... ويا ظلة الموت الزؤام تقشعي
ووالله ما خفت المنايا وهذه ... طلائعها مني بمرأى ومسمع
ولكن حقا في فؤادي لامتي ... اخاف اذا ما مت من موته معي

ومن عجب ان تمازج السخرية شعر الشاعر وهو في هذا الهول فيقول :

ليس معي كبشي أضحي به ... اركبه ان جئت في الاخره
لا تضحكوا مني ولا تسخروا ... فربما جئت على طائره!!

ان ما يلفت النظر في شعر الحضراني الكفاحي ، هو التزامه الموضوعية بشكل فريد . فلقد ألف الناس في شعر الكفاح الا يكون موضوعيا ، وانما هي خواطر متفرقة تجمعها المناسبة ورنة القافية او الاطار الموسيقي الواحد .

ولكن شعر الحضراني الكفاحي ينماز بالموضوعية وربما بالوحدة العضوية ايضا . تراه مثلا يتخذ من حادثة اعدام البطل ـ جمال جميل ـ « الرئيس العراقي الذي كان منتدبا للعمل في تدريب الجيش اليمني فكان من قادة ثورة ١٩٤٨ » موضوعا لقصيدة ، فقد كان سيف الاسلام « أسماعيل » قد ركع اثناء الثورة امام جمال جميل يستجديه العطف والعفو ، فقال له ببسالة : «ارفع رأسك ما هكذا يفعل الرجال» واكتفى باحتجازه . فلما فشلت الثورة وسيق هذا الفدائي العظيم مقيدا الى ساحة الاعدام ، ضربه سيف الاسلام اسماعيل بالسوط من على صهوة جواده .

فأثارت هذه الواقعة شاعرنا واتخذ منها موضوعا لقصيدة من جيد شعره نكتفي منها بالاتي :

حتّام ؟ يا وطني اراك تضام ... وعلى جبينك تعبد الاصنام
والى م ؟ يرتفع الطغاة ويعتلي ... عرش «التبابع» معشر اقزام
وتظل يا مهد الجدود ممزقا ... بيد الخطوب تدوسك الاقدام
حتّام ؟ يمضي للرزيئة والاسى ... عام ، ويأتي بالفجيعة عام
اليوم بالزفرات عام قد مضى ... ولّى تشيّع نعشه الاثام
ولى وقد طعن «السعيدة»طعنة ... برجالها الاحرار ، لا يلتام
نصبت على الاعواد فيه جهرة ... جثث الاسود كانها أغنام

* * *

«أجمال»ذكرك اذ يعود تعود لي ... بين الجوانح ، زفرة.. وضرام
عجبا .. لخطبك لم ترع من هوله ... دول ، ولم تنكس له .. اعلام
وتهز اعواد المنابر بالاسى ! ... هزا وتسكب دمعها الاقلام
خرجوا يقودون «الرئيس» كانه ... ملك وهم حول«الرئيس» سوام
أو أنه القمر المنير يزفه ... نحو المغيب من الظلال ظلام
شاهت وجوه الظالمين حياله ... وبدا «الرئيس» وثغره بسام
ورنا الى الفردوس مشية مؤمن ... يحدوه للاجل المتاح غرام
ورنا الى دار العدالة قائلا: ... «يا مهبط الشورى عليك سلام»
لم ينسه الحق الذي من اجله ... وهب الحياة الموتُ والاعدامُ
حتى اذا مثل الهزبر واحدقت ... خرق مضللة وسل حسام
والموت ارجف في القضاء فاوجفت ... فيه القلوب وطاشت الاحلام
وتطلع التاريخ يكتب كلمة ... شرفا له لو حازها ووسام
مدت اليه من اللئام بوادر ... عن مثلها يترفع الانعام
وسطا على الضرغام كلب اجرب ... اذ صار رهن قيوده الضرغام
هلا برزت اليه « اسماعيل » اذ ... لا الكف موثقة ولا الاقدام
قالوا تلبس بالجريمة ويحهم ... أالى الملائك ينسب الاجرام
زعم لعمري يسخر التاريخ من ... ترداده وتقهقه الايام
«أجمال» ما بال العروبة لم ترع ... لما تحطم سيفها الصمصام
سكتت اسود الرافدين واحجمت ... حيث السكوت يعاب والاحجام
و«النيل» لم يظهر أسى متحسرا ... مما عراك ولم يضج «الشام»
خفرت مصابك ويلها ام انها ... حسبته جرحا ماله ايلام
قد كنت واحدها الذي في صدره ... كمن الاباء وعشش الاسلام
فتكاتك الغراء لاعزم اذا ... ذكرت يقاس بها ، ولا «عزام»

* * *

والحضراني يتخذ من استشهاد عبد الله بن محمد الوزير الشاب الحر الثائر الذي كان مرشحا لولاية العهد بعد عبد الله الوزير ، واعدم شابا « بحجة » عام ١٩٤٨ ، يتخذ من هذه الحادثة موضوعا لمرثاة هي من عيون شعره الكفاحي :

فالشهيد عبدالله يلتفت « وهو سائر الى الموت » الى أبيه الذي كان يشهد اعدامه معزيا ومواسيا ومعللا اباه بالصبر الى ان يتم لقاؤهما في الجنة فتثير الواقعة شاعرية الحضراني ، وتتدافع الى خاطره قائمة

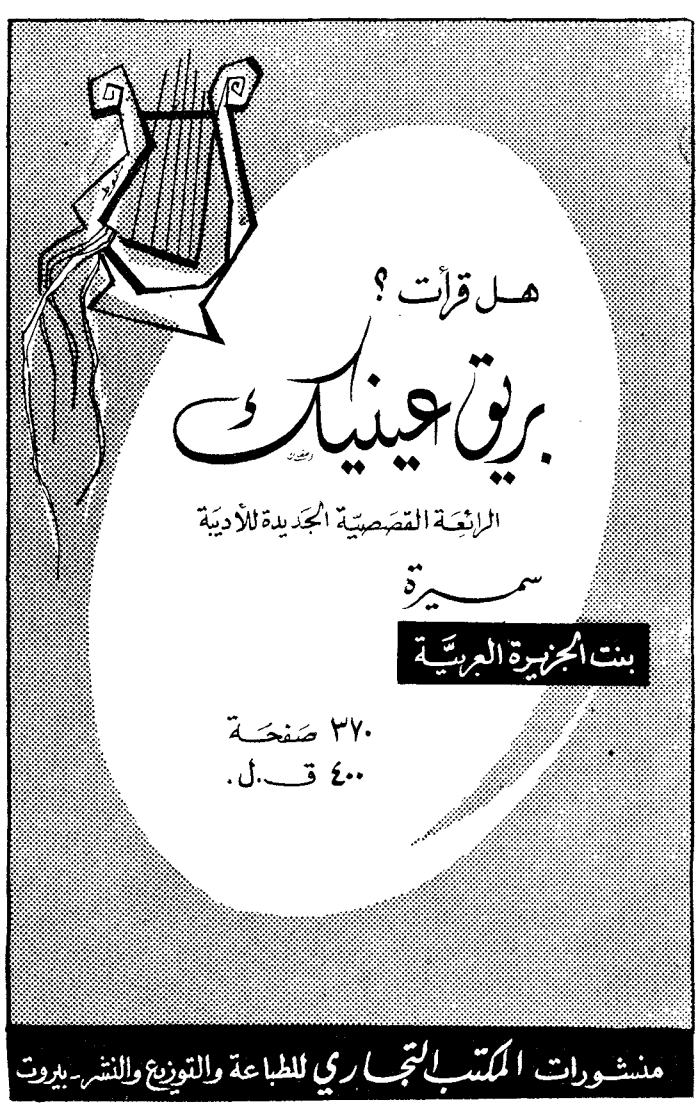

طويلة بالشهداء الابرار من ال بيت رسول الله اجـداد ال الـوزير، فيتخيل ويصور لقاء الاجداد الغر بحفيدهم الشهيد :

عليك والا فالبكـاء حـرام ... وفيك والا فالـرثاء اثـام
لاجلك سالت في المآقي دموعها ... وحل زفير في الحشا وضرام
وناح على فرع الفصون مطوق! ... وسح بهتّان الدموع غمـام
لقد كنت سيفا في يد الحق لم يشن ... غرار له يوم النزال سهام
وقد كنت امضى في الامور عزيمة ... من الليث فيه سورة وعـرام
الا في سبيل الله يا بن «محمد» ... فكم طاح في هذا السبيل كرام
سبيل «علي» والحسين وجعفر» ... «وزيد» عليهم رحمة وسـلام
ولم أنس يوما سلطت في صباحه ... كلاب على ليث الشرى وسوام
احاطت به تلك الزعانف مثلما ... احاط بهالات البدور ظـلام
وقام مشوقا للمنايا كأنمـا ... به للمنايـا لوعـة وغرام
هو الموت اشهى من جني النحل طعمه ... اذا الوغد يعلو والكريم يضام
اشار الى الشيخ الوقور وقد علا ... هنالك للموت الزؤام قتـام
وطاشت عقول الحاضرين لموقف ... تفتت اكبـاد لـه وعظـام
ابمثل «ابراهيم» يزجى ذبيحة ... الى الموت من غلف القلوب طغام
فلم يخش «اسماعيل» الا حزازة ... لها بين اضلاع «الخليل» ضرام
فما خطرت في باله غير كلمة ... تقاصر عنها للمقـول كـلام
أبي لا تخف واصبر فسوف يضمنا ... جميعا بدار المتقين مقـام
وسار عليه من «علي» جـلالة ... تلوح ومن سيما «الحسين» وسام
هناك ثوت في كل قلب كـآبة ... وفارق اجفان العيـون منـام
وناح على النفس الزكية مصحف ... وحن الى الليث الجسور حسام
لئن فارق الدنيا هلالا فنوره ... لعمرك في افق الخـاود تمام
الى الخلد يا زين الشباب فانما ... هو الحزن «خلف» والسرور أمام
يحيّيك من ابائك الغر عـالم ... ويلقاك بالوجه البشوش امـام

* * *

والحضراني يتخذ من حادثة ثالثة موضوعا لقصيدة من شعـره الكفاحي والحادثة تتلخص في استشهاد البطل حميد بن الاحمر ووالده اللذين تمردا على ظلم الامام فاعدمهما عام ١٩٥٩ فنراه يقول :

اين مضى السؤدد والمفخـر ... واين ايـن الملـك يا حميـر
وكيف ذل العرش من بعد مـا ... دان لـه الاسـود والاحمـر
اين اسود من بني يعـرب ... زها بها «غمدان والتعكر» (١)
واسد غاب في ذرى «ناعط» ... ومفخر في «خمّر» (٢) يبهـر
والعرش اين العرش في «مأرب» ... وحولـه اسـد وغـى تـزار
كأنما « الخضراء » من بعدهم ... وقد تولى عيشهـا الاخضـر
سفينـة قد مـات ربانهـا ... او غابة فارقهـا القسـور
بكى لها «حسّان» (٣) في قبره ... وضج حزنا « تبّعٌ » الاكبر

* * *

ان مسحة الحزن التي رانت على شعر الحضراني العاطفي ، قـد صبغت شعره الكفاحي ببعض اطيافها على اختلاف في الاسباب، فهي في الاولى بسبب من جفاء المحبوبة ، وهي في الثانية بسبب من المـآسي التي أناخت بجرانها على اليمن طوال ربع قرن وزيادة ، وان هذا الاسى المعتم الذي ضرب بجذوره في اعماق شعر الحضراني قد اولد في بعض الفترات الحالكة يأسا عميقا طفح به قلب الشاعر كما تطفح الكأس اذ تمتلىء وكما تطفى الانهر اذ تفيض . فحياته قطعة من شعر ، وهو يتمنى الموت ان كان غده مشبها يومه وامسه :

ففي امة منكوبة كـان مولـدي ... اليها نفى الله الشقاء والتوانيا

(١) قصران للتبابعة ما زالت لهما اعمدة قائمة .
(٢) ناعط وخمر : مصيفان حميريان في شرق اليمن .
(٣) الملك حسان بن اسعد الحميري من التبابعة وله قصة مشهورة.

صدر حديثا

الفجر آت يا عراق

للشاعر :

هلال ناجي

الديوان الذي يرهص بثورة العراق الاخيرة على الطاغية قاسم ويغني آمـال الشعب العربي في العراق ونضالـه في طريق الوحدة والاشتراكية والحرية .

قصائد من وحي ١٤ تمـوز وثـورة الموصل وثورة ١٤ رمضان .

الثمن ليرتان لبنانيتان

منشورات :
دار الآداب ـ بيروت
مكتبة النهضة ـ بغداد

نشأت وما صدر اليه يضمني ... يتيما باحضان الشقا مترامیا
أأن وما كف تهدىء روعتي ... وللريح دمعي ان انا قمت باكيا
غدي ان يكن لليوم والامس مشبها ... فاني عنه راغب في مماتيا
وكم طفت في طول البلاد وعرضها ... وقد اثقلوا بالغل عنقي وساقيا
سلوا «حجة» عني محا الله سجنها ... وان شاء بعد السجن دك المبانيا
تعشقت فيه الموت بل صرت عاشقا ... وفيه تخيلت القبور غوانيا

* * *

ويمضي به اليأس الى نهاية الشوط وتنقلب القيم في ذهنه فيقول في دوامة غضبه :

هم الناس لا يحفظون الجميل ... ولا يشكرون لمسد سدا
فكن في قلوبهم رهبة ... لكيما تكون لهم سيدا
ولا تبن أمرا على حبهم ... فيذهب جهدك فيه سدى
هم الناس ما عبدوا في القديم ... عظيم النوال كثير الجدى
ولكنهم عبدوا المفزعات ... باتوا لرهبتها سجدا

* * *

على ان هذه الابيات اليائسة لا تمثل الشاعر ابدا ـ ولي رأي انه نالها في لحظة ضعف انساني تتعرض له كل نفس :

ان الحضراني شأن كل ابطال الحرية في اليمن كان شديد الايمان بالفجر ، عظيم الايمان بالثورة فهو القائل :

لا تعجلوا فبكل رأس نزوة ... وبكل صدر ثورة وضرام
لا تأملوا في أن يتم لفاشم ... في الشعب حكم او يسود نظام
ومراجل الاحرار تغلي نقمة ... وبها الى تلك الدماء أوام
تا الله اسكن فالسكون جريمة ... لا ارتضيها والرضوخ حرام

ومن اجل ذلك كان في طليعة من بوأتهم ثورة عام ١٩٦٢ مكانتهم اللائقة بهم .

* * *

ويحلو لي وانا اختتم هذا البحث المقتضب ، ان أقف عند رائعة من روائع الشعر اليمني الحديث ، قالها الحضراني وهو يجول في شوارع روما عام ١٩٦١ ، وكان يحس آنذاك بالجدران والسابلة تنظر اليه مستغربة سماته وملامحه وشكله وزيه ، منكرة هذا الشيخ النحيف القادم من ارض سبأ ، المتحدر من أقيال حمير ، المنسل من ارض بلقيس، تنكره ساحات روما وتجهل شدوه سقوفها ، ولست اريد ان ابتر الصورة العظيمة او اشوه ملامحها الجميلة ومن اجل ذلك اورد القطعة نصا وهي بعنوان « عربي في شوارع روما » :

تتساءل الجدران بي ... وانا بساحتها اطوف
من ذلك الشخص الغريب! ... وذلك الشيخ النحيف!
أمشي بروما حائر الخطوات لي سمع كثيف
يمشي فتمشي حول هيكله من الماضي طيوف !
من عهد « حمير » لا يزال يروعنا او عهد « خوفو »
والجرح جرح الاجنبي له باجنحنا نزيف
يا مهبط الرومان هذا ما جنى العجيف
الدار تنكرني ولكني لساكنها ألوف
أشدو فتجهل أرضها شدوي وتلفظه السقوف

* * *

تحية للحضراني شاعر الوجدان المتفتح ...

بغداد — هلال ناجي

دار الاداب تقدم :

محاورات في السياسة

بقلم جان بول سارتر ، دافيد روسيه ، جيرار روزنتال

ترجمة جورج طرابيشي

مناقشات هامة تحتاج اليها الطليعة العربية في بحثها عن التخطيط السياسي والاقتصادي والاجتماعي الواجب اتباعه ، وفي محاولة تكوين الاحزاب التقدمية والتجمعات الثورية .

صدر حديثا — الثمن ليرتان لبنانيتان

مغامرة الإنسان

بقلم سيمون دو بوفوار

ترجمة جورج طرابيشي

الكتاب الاول الذي كشف عن عبقرية الكاتبة الوجودية العالمية . وفيه دراسة عميقة عن اوضاع الانسان في مغامرة الحياة .

صدر حديثا — ١٥٠ قرشا لبنانيا